عبدالله الزهدي النابلسي كاتب الحَرَمين الشريفين
"دراسة تاريخية وثائقية – آثارية فنية"

د. سامي صالح عبدالمالك البياضي
خبير آثار وعمارة إسلامية بمشروع الشامية - توسعة المسجد الحرام
ومدير البحث العلمي بمركز الكون للثقافة والإبداع

تُعبر مدينة نابلس من المدن الإسلامية الفلسطينة الخصبة برجالها الذين ذاع صيتهم في شتى المعارف والفنون عبر العصور الإسلامية المتعاقبة، ومن هؤلاء الرجالات المبدعين عبدالله بك الزهدي بن عبدالقادر أفندي النابلسي، ويتصل نسبه بالصحابي الجليل تميم بن أوس الداري رضي الله عنه (ت 40هـ/661-660م) الذي أقطعه الرسول صلى الله عليه وسلم مدينة الخليل، ويعتز عبدالله الزهدي بكتابة هذا النسب فتجده في المسجد النبوي:" اللهم مشفع هذا النبي الكريم لكاتب الحرم النبوي الشريف الفقير عبدالله زهدي من سلالة تميم الداري رضي عنه ربه الباري ". وقد هاجر أجداده من نابلس إلى الشام، وبعد ذلك هاجر مع والده سنة 1251هـ/1835م إلى تركيا حيث مدينة كُوتاهية، ومنها رحل إلى العاصمة اسطنبول.

وكانت بدايته مع فن الخط بتشجيع من والده عبدالقادر أفندي، ثم تتلمذ لكبار الخطاطين في عصره، من امثال راشد أفندي حارس قبر الصحابي أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه الذي استشهد عند أسوار القسطنطينية، وكذلك قاضي العسكر الخطاط مصطفى عزت أفندي، حيث تعلم منه خطي الثلث والنسخ، ولما حذق هذا الفن عُين مدرساً للرسم والخط في مدرسة جامعة نور عثمانية... الخ.

أما بداية شهرته فكانت عندما أراد السلطان العثماني عبدالمجيد (1255 1277 -هـ/-1839 1861) تعمير المسجد النبوي وتوسعته، فاختاره دون كبار الخطاطين التي كانت تذخر بهم استانبول على الرغم من صغر سنه، وأمره بالتوجه إلى المدينة المنورة في سنة 1270هـ/-1853 1854م لكتابة خطوط المسجد النبوي، وظل عبدالله زهدي يمارس عمله في المدينة عدة سنوات حتى أنجز العمل على أحسن وجه في سنة 1279هـ/1862م، فكتب مجموعة من الآيات والأحاديث النبوية والأشعار التي قيلت في مدح الرسول، وإن الخطوط التي كتبها زهدي لا تزال باقية تدل على براعته في هذا الفن، وهي من حيث طولها تبرز لنا أن زهدي هو صاحب أكبر قدر من كتابات خط الثلث، بحيث لا يتعداه خطاط آخر.

وبعد ذلك توجه إلى مِصْر في سنة 1283هـ/1866م وكان صيته قد سبقه ككاتب الحَرَمين الشريفين، فاستقبله الخديوي إسماعيل باشا (1296-1280هـ/1879-1863م)، وأطلق عليه لقب خطاط مِصْر الأول، وأوكل إليه مهمة كتابة خطوط المساجد والمدارس، والآيات على كسوة الكعبة المشرفة، فأبدع فيها أيما إبداع. كما كان يدرس فن الخط في المدرسة الخديوية، وتخرج على يديه الكثير من كبار الخطاطين.

وبعد حياة حافلة بالعطاء وبعد أن أصبح علماً من أعلام الخط العربي توفي عبدالله الزهدي

النابلسي خطاط الحرمين الشريفين في سنة 1296هـ/1878م.

وقد رصدت جميع أعماله وآثاره الباقية وتوقيعاته، والكثير من الوثائق واللوحات الخطية لمشروعات تم تنفيذها، ولعل أهمها الدالة على عبقريته في فن الخط العربي على سبيل المثال لا الحصر: كتابات المسجد النبوي الشريف حيث قمت بتصويرها كاملة لأول مرة، وكتابات ميزاب الكعبة المشرفة، وسبيل أم عباس، وجامع الرفاعي بالقاهرة، وكتابات كسوة الكعبة المشرفة، والمحمل والبيرق، كما كتب نسخة من المصحف الشريف، وله العديد من اللوحات الخطية تحتفظ بها المُتاحف العالمية.